لاتخذناه من لدنا اى من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في
صنعنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا
رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين
اى ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل ذلك لانه لم يليق بالربوبية بل اى دع ذلك الذي قالوه فانه كذب
وباطل نقذف اى نرمي ونسلط بالحق اى بالايمان على الباطل اى الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اى فيهلكه فاذا هو زاهق اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى
يذهب ويضمحل ثم اوعد على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون بالله تعالى بما لا يليق به
من الصاحبة والولد وله من في السموات والارض اى عبيدا وملكا فهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن عنده
يعني الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات تكريما لهم وتقريبا لا عنتا بهم لا يستكبرون
عن عبادته اى لا يانفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اى لا يعيون وقيل لا ينقطعون عن العبادة
ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون اى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان
تسبيحهم متصل دايم لا يفتر في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار التسبيح
لهم كالنفس لبني ادم ام اتخذوا الهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من الارض
هم ينشرون اى يحيون الاموات لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحيا والايجاد من العدم والانعام
بابلغ النعم ونحوه وهو الله عز وجل لو كان فيهما اى في السموات والارض الهة الا الله لفسدتا اى غير الله لفسدتا
اى لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام
فخر الدين الرازي قال المتكلمون لو وجد الالهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك
لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين
او لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود
مراد ذاك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك
ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما
اقدر من الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما
انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لا يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص
وعلى الله محال ولو فرضنا الالهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع نقض فعل الاخر وهو على انه محال ولو فرضنا
المقدور وقع فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد منهما لان اسناد الفعل الى الفاعل
انما كان لامكانه قادرا على واحد منهما مستقلا بالايجاد بالفعل لكونه مع هذا الوجه لو وقع فيستحيل اسناده
الى هذا لكونه حاصل معهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما وذلك محال وهذه حجة تامة
في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك
وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا ونقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا
فان اتفقا على الشي الواحد فذلك المقدور لهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع
المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الاخر والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم
انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات
فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كل من طعن في دلالة

التمانع

التمانع فسر الاية بان المراد لو كان في السما والارض الهة تقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها
جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قال وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم ام اتخذوا الهة من الارض
هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله عز وجل فسبحان الله رب العرش عما يصفون
تعجيب تنزيه لله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد لا يسأل عما يفعل اى لا يسأل الله عما يفعله
او يقضيه في حكمه تعالى وهم يسألون اى والناس يسألون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسأل عما يحكم في عباده
من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقا لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسألون سوال توبيخ
يقال لهم يوم القيامة فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول
له لشي فعله لم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة لما ابطل الله تعالى ان يكون الهة سواه بقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام
انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا هذا يعني القران ذكر من معي فان
فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر
من قبلي اى من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة قال ابن عباس ذكر من
معي القران وذكر من قبلي التوراة والانجيل ومعناه راجعوا القران والتوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون
فيها ان الله تعالى اتخذ ولدا او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اى فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اى عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان
بانه لا اله الا هو قوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات
الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد مكرمون اى اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اى
لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم اى ما عملوا وهم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون اى خايفون وجلون
لا يامنون مكره ومن يقل منهم اى الملايكة اني اله من دونه قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من
الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اى الواضعين الالهية
والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اى يعلم الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اى فصلنا بينهما بالهوا قال
كعب الاحبار خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وقيل
كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذا الارض وقيل كانت السموات
رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الما كل شي حي اى
واحيينا بالما الذي ينزل من السما كل شي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب الحياة
كل شي وقال المفسرون معناه ان كل شي حي فهو مخلوق من الما وقيل يعني النطفة فان قلت
قد خلق الله تعالى بعض ما هو مخلوق وحي من غير الما كادم وعيسى والملايكة والجان قلت خرج
هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الما او بقاؤه في الما افلا يومنون
اى افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اى جبالا ثوابت ان تميد بهم اى لئلا تميد بهم وقيل ان الارض

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)